هنا، والحصول على جزء من أرض فلسطين. «لذا، ان حق ضائقة العيش هو حق صادق. انه وضع آتٍ من وضع اللاخيار الموضوعي».

يعتبر كتاب يهوشع «لأجل الوضع الطبيعي» مفتاحاً نظرياً هامّاً للايديولوجيا التي يرعاها هذا الكاتب بدأب؛ كما انه دلّل على تعلّق الكاتب بالفكرة الصهيونية، التي ما زالت تلحّ عليه كثيراً باسئلتها المتعدّدة. ولقد وجد، في النهاية، ان المبرّر الاخلاقي الوحيد لاقامة لبّ الكيان الصهيوني في فلسطين هو حق ضائقة العيش التي مرّ بها اليهود في الشتات في أوروبا.

«ازاء الغابات»

تعتبر قصة «ازاء الغابات»[٧] الطويلة احدى أهمّ قصص يهوشع. ومع انها واحدة من أهمّ، وأقدم، قصصه، الّا انها ما زالت تحوي كنه الأزمة التي يعاني منها يهوشع وغيره: ما الذي فعلناه للفلسطينيين؟ وما الذي يفعله الاسرائيلي للآخر، الفلسطيني، ابن البلاد الذي ما زال يعيش في بلاده؟

التبرير الاخلاقي، الذي ذكرناه سابقاً والوارد في كتاب «لأجل الوضع الطبيعي»، لقي صدى آخر هنا، الى درجة ان الشعور بالذنب يطغى على أي تبرير، مهما كان كبيراً، أو عظيماً. ومهما تعدّدت التفسيرات والتحليلات لهذه القصة، فان البعد السياسي ظل واضحاً فيها، وطغت اجواء الغربة على العمل. فغربة البطل، وثقافته، تزيدان في حدّة مشكلته. وبهذه القصة الطويلة سجّل يهوشع حواراً مع الآخر (الفلسطيني) يصحّ ان نطلق عليه لقب «حوار الصمت القابل للانفجار في أية لحظة».

دارت القصة حول شاب يهودي، في الثلاثين من العمر، يعد اطروحة دكتوراه عن الحملات الصليبية. لاحظ اصدقاؤه مدى اضطرابه واغترابه، فقرروا مساعدته ليخرج من هذه الأزمة، ويعمل حارساً لاحدى الغابات.

في الغابة، عاش الشاب في الطابق الثاني من بيت يعيش في طابقه الاول عربي مقطوع اللسان (والرمز واضح جداً) مع ابنته. في البداية، انتاب الشاب خوف شديد؛ لكنه تعوّد على العربي فيما بعد، وتفاهما بالاشارات. وعلى الرغم من التفاهم بين الاثنين، الّا ان مخاوف الشاب واضطراباته وأزماته هيّأت له ان الغابة ستحترق، وهو انتظر هذه اللحظة على نحو شبقي واضح. فهذه الغابة ليست الّا حقاً لاناس آخرين، والغابة ليست الّا احدى القرى العربية التي محيت لتقام عليها هذه الغابة؛ والعربي المقطوع اللسان هو احد سكان هذه القرية، الذي لم يستطع التخلّي عن قريته، وما زال يشجّرها ويعتني بها.

ان شعور الشاب اليهودي بوطأة الاغتراب والذنب تدفعه الى لقاء العربي أكثر فأكثر ليتفهّمه. فهو تخيّل ان العربي سيلفظ اسم القرية؛ كما انه رأى اعقاب السجائر ولم يقم باطفائها، أو الحوّول دون وجودها في الغابة. فعناصر الدمار الداخلية التي انتابته شجّعته على ممارسة خموله «المسيّس» الى حدّ ما، الى ان قام العربي، ذات مرة، باشعال الغابة من جهاتها الاربع لتظهر للشاب اليهودي اطلال القرية واضحة.

في هذه القصة، فجّر يهوشع الموقف على نحو واضح: حتى لو قطعت لسان العربي وحوّلته الى أخرس، فثمّة طرق أخرى يتكلم بها ليطالب بحقه؛ لكي يسترد بلدته. فالعربي (ابن المكان) لم يستطع التخلّي عن آثار قريته؛ وهو يعيش أله بصمت منتظراً اللحظة المناسبة لينسف اشجار الغابة، وليطلّ على بقايا قريته المندثرة.